

نشأة علم التفسير وتطوره

مرث حركةُ التفسير بأربع مراحل متتالية، تميّز
التفسير في كلِّ واحدةٍ منها بمزايا خاصة. هذه
المراحل هي:

التجديد

التفريع

التأصيل

التأسيس

المرحلة الأولى: التأسيس

بدأت هذه المرحلة على يد رسول الله ﷺ حيث كان أول من فسر القرآن الكريم، فرغم أنه لم يُفسره كاملاً، لكنه فسّر منه ما احتاج الصحابة إلى تفسيره وما سألوه عنه. ولهذا يُعتبر الرسول ﷺ المؤسس الأول لعلم التفسير. قال تعالى: **((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))** {النحل/44}

امتدت هذه المرحلة على مدار القرون الخيرية الثلاثة الأولى، التي شهد لها الرسول ﷺ بالفضل والخيرية، جيل الصحابة ﷺ، والتابعين، وأتباعهم.

قام الصحابة [?] بعد رسول الله [?] بتفسير القرآن الكريم،
واشتهرت ثلاثُ مدارس للتفسير في زمنهم، وهي:

مدرسة التفسير بمكة

مدرسة التفسير بالمدينة

مدرسة التفسير بالكوفة

مدرسة التفسير بمكة: تم تأسيسها على يد الصحابي الجليل عبدالله بن عباس [؟]، ومن تلاميذ هذه المدرسة مجاهد وسعيد بن جبير وطاووس وعكرمة وعطاء.

مدرسة التفسير بالمدينة: تأسست على يد أبي بن كعب [؟]، ومن أشهر رجال هذه المدرسة: أبو العالية رفيع بن مهران، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم.

مدرسة التفسير بالكوفة: تأسست على يد صحابي عبدالله بن مسعود [؟]، ومن أشهر رجال هذه المدرسة: علقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع والشعبي والحسن البصري وقتادة.

كان التفسير في مرحلة التأسيس يتصف بالإيجاز والاختصار, ولم يتم تفسير القرآن كاملاً, وإنما كان المفسرُ يفسرُ الآيات التي يُسألُ عنها, أو التي تدعو الحاجة إليها. وقد برز في هذه المرحلة اتجاهان بارزان في التفسير:

الاتجاه الأول: اتجاه التفسير بالمأثور: كان أصحابه يعتمد على إيراد الأقوال المأثورة في تفاسيرهم, من أحاديث مرفوعة للرسول صلى الله عليه وسلم, ومن أقوال للصحابة والتابعين.

• **ومن التفاسير التي تمثل هذا الاتجاه:** تفسير مجاهد، وتفسير قتادة، وتفسير سفيان الثوري، وتفسير حسن البصري.

الاتجاه الثاني: الاتجاه اللغوي البياني: كان أصحابه يفسرون بعض كلمات القرآن تفسيراً لغوياً، حيث كانوا يذكرون معنى الكلمة القرآنية، واشتقاقها وتصريفها، ويوردون الشواهد الشعرية على ما يذكرون.

• **ومن التفاسير اللغوية التي تمثل هذا الاتجاه:** مجازُ القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، معاني القرآن للفراء، معاني القرآن للأخفش.

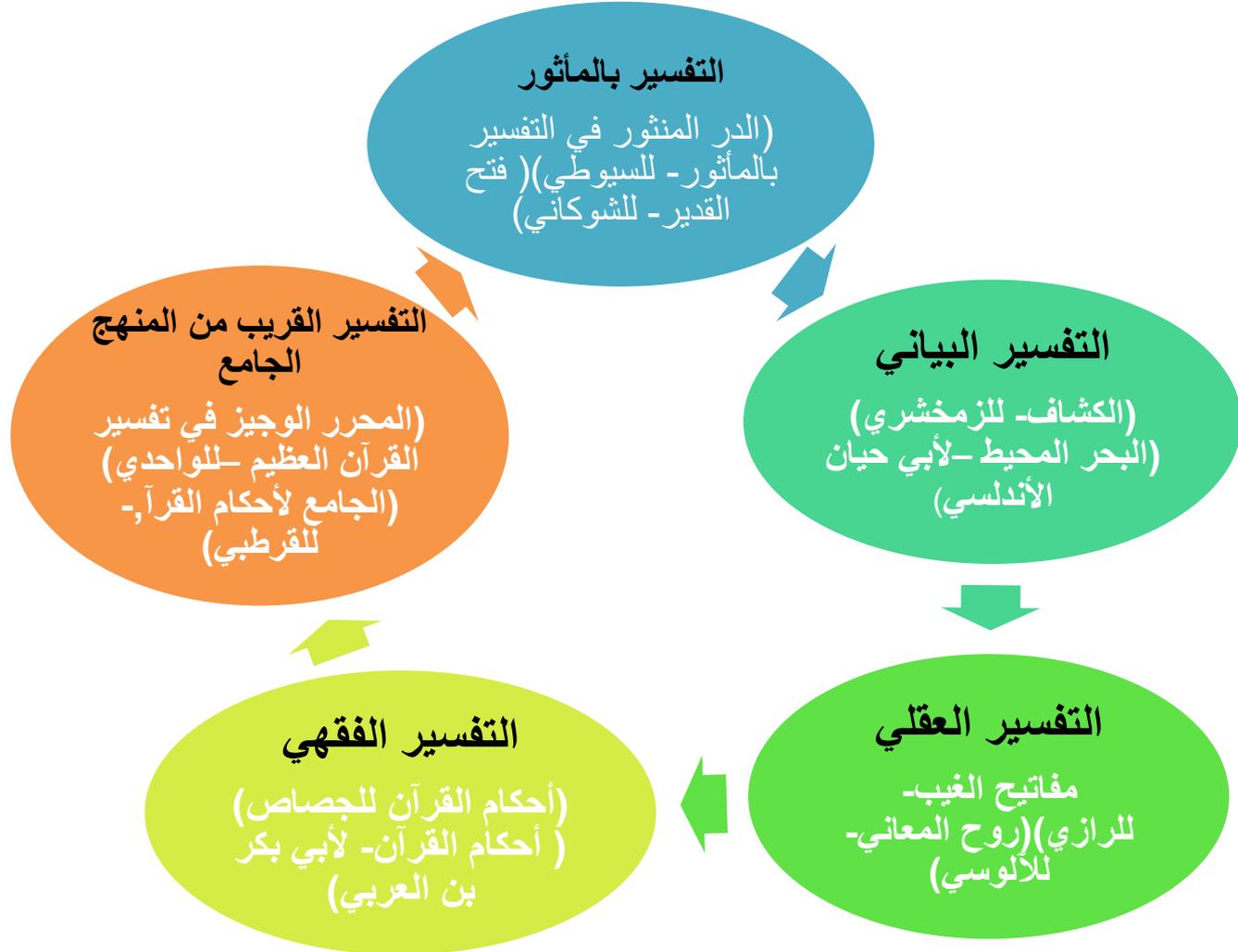
المرحلة الثانية: مرحلة التأصيل

بدأت هذه المرحلة في نهاية القرن الثالث للهجرة، وهذه المرحلة مبنية على ما قبلها بناءً سليماً، ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً. إذ تم في هذه المرحلة ترسيخ المنهج الأصيل لعلم التفسير، المنهج القائم على أسس وقواعد متينة، وهذه القواعد والأسس قعدت القاعدة الصلبة، التي أعقبت تأسيس ونشأة هذا العلم. وأرسى قواعد علم التفسير في هذه المرحلة إمام المفسرين محمد جرير الطبري، حيث جمع الطبري في تفسيره (الجامع البيان عن تأويل آي القرآن) بين المنهجين السابقين: المنهج الأثري، والمنهج اللغوي، وأضاف لهما استنباطاته وترجيحاته، لذلك يسمى منهجه بالمنهج الجامع في التفسير، لأنه جمع (الأثر واللغة والترجيح والاستنباط)

المرحلة الثالثة: التفريع/ التنويع

انتقل المفسرون بعد الطبري بالتفسير إلى خطوة ومرحلة أخرى، وهي الانطلاق من التأصيل إلى التفريع والتنويع. لقد كان كلّ واحد من هؤلاء المفسرين يفسر القرآن وفق العلم الذي مهر فيه وغلب عليه، ظهرت التفاسير العقلية والتاريخية والفقهية والنحوية وغير ذلك. وقد استمرت هذه المرحلة قرّونا عديدة، من القرن الرابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر.

- وقد ظهرت في هذه المرحلة عدة اتجاهاتٍ للتفسير، ومن أشهرها:



المرحلة الرابعة: التجديد

بقي المفسرون منذ القرن الرابع للهجرة حتى القرن الرابع عشر يُفَرِّعون ويُنَوِّعون في تفاسيرهم، حتى جاء العصر الحديث، الذي بدأ من بداية القرن العشرين الميلادي أو القرن الرابع عشر الهجري، تميّز التفسير في هذا العصر بمزية التجديد، لهذا أُطلق على هذه المرحلة اسم التجديد.

والمراد بالتجديد في التفسير: التجديد الصحيح السليم، المنضبط بالضوابط العلمية، الملتزم بالأسس المنهجية، التجديد القائم على الابداع والجدة، وإحسان تنزيلها على الواقع، ولا نعني بالتجديد الخروج على القواعد والضوابط والانفلات والفوضى والقول في كتاب الله بغير علم، وتحريف معاني الآيات لتوافق أهواء أهل الضلالة.

بدأت هذه المرحلة على يد الشيخ محمد عبده الذي أرسى معالم مدرسة خاصة في التفسير وفهم القرآن، أحدث هو وتلاميذه وفي مقدمتهم (محمد رشيد رضا) تجديداً في فهم القرآن وتفسيره.

• ومن أشهر التفاسير المعاصرة:

في ظلال القرآن
سيد قطب

تفسير القرآن الحكيم-
تفسير المنار

التحرير والتنوير-
لابن عاشور

أضواء البيان في
تفسير القرآن بالقرآن-
لمحمد أمين الشنقيطي

التفسير المنير- وهبة
الزحيلي